



مؤتى الأغانى فى الليل

"ولم يقولوا أليس الله صانع مؤتى الأغانى
فى الليل" (أيوب ٣٥ : ١٠)

للقس اغسطينوس حنا



كان اليهو صديق أيوب البار حكيماً جداً، وقد هداه تفكيره وهو يبحث عن سر بلوى أيوب إلى أن سبب شقاء الناس هو لأنهم فى حزنهم وأضطرابهم لا يقولون " أين الله صانع مؤتى الأغانى فى الليل؟".

أن فكرة اليهو تصدق غالباً، وأن كانت لا تنطبق على حالة أيوب بالذات. وفى الواقع أن أعظم سبب لأحزان الكثيرين ترجع إلى أنهم يتلمسون طريقاً للنجاة هنا وهناك وينسون مصدر الحياة وصانعها .. ولا يقولون : أين الله صانع مؤتى الأغانى فى الليل!!

العالم له ليله:

تشرق الشمس فى الصباح ويذهب الناس إلى أعمالهم، ويجئ الليل كهدية السماء الجميلة، ويبسط الظلام فيحجب النور الذى يمنع النوم عن عيوننا، وفى هدوء الليل نستلقى فى حضن الراحة، وننسى متاعبنا إلى أن تشرق الشمس من جديد ويزيح ملاك النور استار الظلام، ويداعب الضوء عيوننا للصحو، ونعود إلى عمل اليوم الجديد.

أن الليل من أعظم البركات التى يستمتع بها الإنسان، ومع هذا فهو عند البعض وقت كئيب ومخيف يخشون فيه هذا أو ذاك!!

*** والليل له أغانيه:**

حتى الليل له أغانية .. ألم تجلس ذات ليلة فى الصحراء الفسيحة وأرهفت السمع لتصغى إلى سمفونية الأبدية البديعة أو جلست على شاطئ البحر الكبير وسمعت القوقع الصغير على طول الشاطئ يوصوص أغانيه، والأمواج تصفق لمجد الله.

ألم تقم فى ليلة ما من فراشك فى جوف الليل أرقاً وفتحت النافذة لتصغى .. تصغى لأى شئ للصمت، ومن خلال الصمت الخيم على الخليقة تسمع موسيقى فريدة من نوعها فى الوجود، ويخيل إليك أن قيثاره الله

تبعث أنغامها على طول وعرض السماء. ألم يخیل إليك فى اللیل أن النجوم تتغنى على أسلاك الضوء وأوتار نواامیس الطبيعة تمجد مبدعها وتكبر صانعها؟

لسنا فى حاجة إلى شاعریة كبریة فى أرواحنا لنلتقط أغانى اللیل، ونرى ونسمع الفلك وهو یُسبّح الله ویخبر بعمل یدیه. (مز ١٩: ١)

الإنسان عالم صغیر:

فإذا كان للعالم لیله فالإنسان له لیله بل لیلاله. لیلالى الحزن والدموع لیلالى المرض والألم. لیلالى الإضطهاد والخوف. لیلالى الشك. لیلالى الحیرة. لیلالى القلق. لیلالى الجهل - لیلالى یقول عنها آیوب «لیلالى شقاء قسمت لی». ولكن مبارك الله لأنه قریب وفى هذه اللیلالى جمیعها یستطیع المؤمن أن یقول: «الله مؤتى الأغانى فى اللیل»....

دعونا نتأمل:

أولاً- أغانى اللیل .. ومن هو مؤلفها؟

«الله مؤتى الأغانى»، هكذا یقول الیهو صدیق آیوب. أى غنى بوسعه أن یغنى والكأس مترعة والخیر وفیر. من الیسیر أن نغنى ونحن نقرأ «النوتة الموسیقیة» على ضوء النهار ولكن المغنى الشاعر هو الذى یستطیع أن یغنى فى اللیل .. أنه لا یغنى من نوتة، أو من کتاب بل من القلب. دع كل شئ یسیر حسناً كما أرید عندئذ، أملأ الجو بالأغانى، أينما ذهبیت حیث الأزهار تنمو على جانبى الطریق وحیث العصافیر تزقزق فوق فروع الأشجار.

ولكن إذا إنقلب الحال .. کیف أستطیع أن أغنى ؟!

عندما تكون صحتى جیدة أغنى ولكن أتركنى فى فراش المرض ما أصعب أن أغنى. إذا غمرنى الخیر أرتفع إلى الله بروحى. أقترّب من عرشه وأغنى كملاك. أما إذا قید روحى وأستولى على الحزن یثقل على الغناء. إنه لیس فى مقدور الإنسان وهو حزین ومضطرب ان یقول: «بارکى یا نفسى الرب وكل ما فى باطنى لیبارک أسمه القدوس. بارکى یا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته. فهذه أغنية النهار المشرق الساطع. (مز ١٠٣)

ومع ذلك فإنه توجد أغنية إلهیة رائعة ونادرة من

أغاني الليل رنمها حبقوق النبی، أسمعہ وهو يغنى:
”فمع أنه لا يزهر التين ولا يكون حمل في الكروم.
يكذب عمل الزيتون والحقول لا تصنع طعاماً، ينقطع
الغنم من الحظيرة. ولا بقر في المداود. فإنی أبتهج
بالرب وأفرح بإله خلاصی“ (حب ٣ : ١٧ ، ١٨).

إذن فحتى إذا جفت كل ينابيع السرور يستطيع الله
وحده أن يلهمنا أغاني الليل.

ثانياً- أسباب أغاني الليل:

عندما نغنى في الليل، نغنى من أجل أمس الذي
عبر، أو من أجل الليلة ذاتها، أو من أجل المستقبل
المنتظر. كل منها موضوع يلذ للغناء، إذا كنا نغنى
عن الأمس دعنا نبدأ بما عمل الله في الأزمنة السابقة،
وسيحلو الغناء عن إختبار الحب الإلهی، وعهد المراحم
الأبدية، قبل أن تكون الجبال كان الحب الإلهی وقبل أن
تكون التلال كنت في قصده إبناً. لقد أحبك حباً قوياً
ومجيداً وأبدياً. في هذا الإيمان ستجد بهجة عميقة في
أعماق الليل. أما إذا كان صوتك لا يتناسب مع طبقة
هذه الأغنية العالية فإنی أضع أمامك مراحم أخرى هي
الأختبار الشخصي عندما كنت عبداً أعمى بل ميتاً
بالخطايا والذنوب وأعلن الفادی نفسه لك وفتح عينيك
ووهبك الحياة.

ثم آلا تذكر أنك مرضت في يوم ما؟ ألم يقمك من
المرض، ألم تكن محتاجاً فسد احتياجك؟ ألم تقع
في ضيقة فأنقذك؟ تعال أيها الأخ الحبيب وتأمل جيداً
مراحم الله التي غمرتک في ظلمة الليل .. لاتنسى في
لحظة حزن جميل صنع الله معك وإحساناته الكثيرة
الماضية.

وفي الحاضر مهما إنقطعت أوتار قيثارتك فلا يزال
هناك وتراً سليماً ولا يزال هناك جمة واحدة تتلألأ
على الأقل أو يوجد قريب أو صديق مخلص.. ويوجد
المسيح دائماً.. نستطيع أن نغنى ونحن نزرع بالدموع
لأننا سنحصد بالإبتهاج .. نغنى في جبل الزيتون حيث
يمتزج المر باللبان بعد التناول من سر العشاء الرباني
المجيد ”ثم سبّحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون“ (مت ٢٦ :
٣٠) نغنى للرب ترنيمة حبقوق (حب ٣ : ١٨). وتسبّحة

الفتية الثلاثة، وترنيمه يونان فى جوف الحوت وترنيمه بولس وسيلا فى منتصف الليل فى سجن فيلبى. (١٦ع١).

لن يطول الوقت حتى يرقد المؤمن على فراش الموت حينئذ يحتاج إلى أغنية ولست أدري من أين يحصل عليها إن كان لا يلتمسها فى الصباح قبل أن يأتى الليل الذى لا يستطيع الإنسان أن يعمل فيه.

ومن المستقبل اللامع أيضاً نغنى. قد يكون على رأسك الآن إكليل من الشوك ولكن قريباً نلبس أكاليل الحياة والبر والمجد. الآن يداك مشغولتان بأشياء فانية ولكن هناك سوف تمسك يداك بقيثارة الخلود. لنمض فى ليلنا ونحن نذكر.. بعد الليل يأتى الصباح وبعد الظلام ينبثق نور الفجر وسوف يفيح النهار وتنهزم الظلال ويطلع كوكب الصبح فى قلوبنا (نش ٤ : ٤ ، أبط ١ : ١٩ ، رؤ ٢٢ : ١٦). وعندئذ تصدح أغنية موسى والخروف بقيثارات الله فى مدينة الأعياد الدائمة (أش ٣٣ ، رؤ ١٤ ، ١٥).

ثالثاً: سمو أغانى الليل

عندما نسمع إنساناً يغنى فى الليل، ثقب أن الظلام ثقيل ولذلك يقول داود النبى (أذكر ترمى فى الليل). كثيرون يستطيعون أن يرموا حسناً فى الأتوماتونات ولكن يصعب عليهم الغناء وقت الإضطهادات، ولكن يوجد من يغنى حتى ولو كان فى أتون النار مثلما فعل الشهداء تماماً وهم يعذبون ويحترقون، وأغانى الليل تعنى أن لنا إيماناً فى الله، وأغنيات الليل دليل على الشجاعة لأنهم لا يخافون الليل ولا يرهبون الظلام. والأغانى تبرهن على حبنا للمسيح فى جميع الظروف لنسير معه وهو ذاهب إلى جثيمانى ونتعلق به وهو ذاهب للصليب، فهذه هى أمجد أغنية.

رابعاً- فوائد أغانى الليل

أنه يبهج نفوسنا.. هل تذكر وأنت طفل عندما كنت تذهب إلى مكان فى الظلام؟ كنت تصفر بفمك وتغنى لتؤنس وحدتك. كذلك يجب أن نفعل الآن. لا شئ يرفع الروح المعنوية مثل الغناء عندما يلوح الفشل نقول هيا بنا نرغم، أن الشيطان لا يحتمل الترنيم. هذا ما حدث لشاول عندما كان يصصره روح نجس، يأتى

بالفتى داود وما ان يعزف مزاميره على عوده حتى يهرب الروح الشرير ويشفى شاول!! (١صم ١٦ : ١٦).

ما أحسن أن يغنى الخدام وهم يعملون، وما أجمل أن يغنى الفلاح وراء المحراث .. أن الأغاني أفضل مُطهر للنفس من الأفكار الشريرة ومن الأحزان والهموم. دع قلبك يمتلئ من الأغاني الجميلة فيمتلئ فرحاً وسروراً. فما أصدق الترنيمة التي تقول "غنى فالغيوم حالاً تنقشع أن تغنى فالغناء يطرد الهموم". وأغاني الليل تسر الله، فهو يحب أن يسمع شعبه يسبح له فى الليل كما فى النهار تماماً (مز ١٣).

لا شئ أحب على قلب الله من نعمة تسبيح ترتفع إليه من أولاده .. عندما يحجب وجهه عنهم لحظة يزداد تعلقهم به.

فى السماء ترنم له الملائكة دوماً .. وعندما ترنم له أنت فى أرض الشقاء يسكت الملائكة ليسمعك. وغناء الليل يبهج أخوتك إذا كان بعضهم مثلك فى وادى الظلام فان أغنياتك تعزى قلوبهم. غن اينما ذهبت وأغسل وجهك كل صباح بمياه الحمد والشكر .. أحمل ابتسامة معك اينما توجهت تطيب لها نفس سائح مُتعب.

وأخيراً كلمة تحذير للذين لا يعرفون الله صانعهم أعلم أنه سيأتى ليل دائم فى مكان رهيب سيستقر فيه الأشرار لا أغاني فيه وإنما هناك يكون البكاء وصرير الأسنان !! ولكن يوجد الآن رجاء للتائبين. فهلا حصلت على اختبار داود النبى عندما قال «أخرجنى من الحمأة ثبتنى على الصخرة. .. وجعل فى فمى ترنيمة جديدة» (مز ٤٠ : ٣).

ابداً بالتوبة وعش فى محبة الله وصداقته وعبادته وخدمته ولسوف تجد ترنيمات الليل والنهار سبيلها إلى شفيتك غنوا أغاني النهار وأغاني الليل .. إلى أن يشرق نور النهار الأبدى.

**St. John Coptic Orthodox Church
Covina, California**

Tel. (626) 820-2739

Book Store: (562) 900-2695

Email: frhanna@mystjohn.org

Website: www.mystjohn.org